اغتيـال القيصر الكسندر الثاني عام ١٨٨١ وحملة الاضطهاد والاغتيال التي تعرضوا لهاعلى أيـدي القيصر الكسندر الثالث. وقد جاءت نشأة الحركة الصهيونية كحركة سياسية عنصرية توسعية مترافقة مع بلوغ الثورة الصناعية التي شهدت في اوروبا ذروة التطور، حيث يستلزم ذلك توفـر الاسواق الاستهلاكية لتصريف البضائع والصناعات الرأسمالية، وكانت حمى المزاحمة والمنافسة الاستعمارية نتيجة حتمية لذلك. كما نرى نشأة هذه الحركة وتكوينها «كايديولوجية ومنظمة في اواخر القرن التاسع عشر، في عهد المعارك الطبقية الضارية للبروليتاريا العالمية، في مرحلة انتهاء عملية تحول الرأسمالية إلى امبريالية»(٢٧).

وعلى هذا الاساس، أشار فلاديمير ايليتش لينين في مرحلة قيام المنظمة الصهيونية العالمية إلى أن الصهيونية تشكل تيارا رجعيا للبرجوازية اليهودية (٢٨). ورغم إعطاء الجهود التنظيمية مرتبة الصدارة في هذا المؤتمر، فقد كان العمل لتحضير الادوات الاستعمارية يوازي هذه الجهود ويقف معهـا جنبـا الى جنب لانجاز ما اقرّ، تحقيقا للأهداف المرسومة التي اتفق عليها واقرّت بالاجماع تقريبا. وهكذا برز «المصرف اليهودي للمستعمرات في عام ١٨٩٨» إلى الوجود، و «لجنة الاستعمـار» ايضـا في العـام نفسه،و «الصندوق القومي اليهودي ١٩٠١» و «مكتب فلسطين ١٩٠٨» وشركـة تطويـر اراضي فلسـطين ١٩٠٨» في طليعـة المؤسسات التي انشأتها المنظمة الصهيونية. وقد قامت هذه المؤسسات بمهمتها الاستعمارية خير قيام محققة نتائج جيدة على طريق الاستيطان الصهيوني لفلسطين العربية.

في هذا الوقت، كانت الجهـود الدبلومـاسيـة الصهيونية تسير متوازية مع تحضير هذه الادوات، لأن الصهيـونيـين كانـوا يدركـون جيدا انه «ليس بالسلاح وحده تتم إبادة الوطن الفلسطيني وتحويل اليهودي الى أداة قمع»(٢٩). ولهذا اتقنوا جميع انواع الاسلحة، السياسية والدبلوماسية والاقتصادية، وبرعوا في استخدام العنف والاجرام مما يتنافى مع حديث شمعون بيرس عن تفوقهم العسكري والاخلاقي.

وبعد ان تطرقنا لهذا المؤتمر الصهيوني الأول والنتائج التي تمخضت عنه، لا بد من معرفة المواقف الدولية ازاءه، وبصورة خاصة فيما يتعلق بردة الفعل العربية.

مطامع الدول الاوروبية في الممتلكات العثمانية

من المسلّم به ان الدول الاوروبية الاستعمارية كانت تطمع بالشرق والبلاد العربية بصورة خاصة منذ قرون طويلة. كما كانت فلسطين على رأس اهتماماتها نظرا للمكانة الدينية التي تحتلها بين سائر دول المنطقة، بالاضافة إلى موقعها الاستراتيجي الحساس بين القارات الثلاث: آسيا واوروبا وافريقيا. والحروب الصليبية المدمرة التي اتخذت شعارها «تحرير الاماكن المقدسة من ايدي المسلمين»، حسب اعلان البابا اوربانوس الثاني، كانت تخفي وراءها ابعادا تتجاوز العامل الديني الذي اثبت ضآلة اهميته بالمقارنة مع العوامل الاخرى.

وعنـدما كانت الدولة العثمانية في عز قوتها وجبروتها، كانت تمنح هذه الدول الاوروبية الطامعة بممتلكاتها امتيازات كثيرة بشكل منح وهبات، دون اي اعتبار للنتائج، ثم تبخرّت قوة الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر عندما اصبحت هذه الدولة رجلا مريضا يحتضر بسبب تقطيع اوصاله من جراء الضربات التي وجهتها اليه دول الغرب الاوروبي المتقدم صناعيا في الوقت الذي بقي فيه العثمانيون يقاتلون بأسلحتهم القديمة وخططهم التقليدية المهترئة. وهكذا كان القـرن التاسع عشر عصر انهيار العثمانيين، وتحولت معاهداتهم مع الدول الاوروبية إلى سلاسل وأغلال طوّقت عنقهم وأيديهم. «ووجدت الدولة العثمانية نفسها أنها ليست عاجزة عن